

## قيام دولة القراخطاي واتساعها في آسيا الوسطى

0م0د0فاضل كاظم صادق/ عميد كلية الآداب- جامعة ذي قار

thiqaruni.org

د0عباس خميس عبود / كلية التربية- جامعة القادسية

آسيا الوسطى اقليم واسع يمتد من غرب سيبيريا شمالاً الى شمال شرق ايران وافغانستان (خراسان ) جنوباً ،ومن شمال الصين شرقاً الى بحر قزوين غرباً، اي المنطقة التي تغطي معظم اراضيها الجمهوريات الاسلامية الخمس المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق وهي كل من جمهورية (قرقيزستان واوزبكستان وكازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان) وهذه المناطق عرفت تاريخياً عند العرب المسلمين ،بـ:ما وراء النهر واطليم كاشغر وفرغانة وبلاد الترك الممتد بين بلاد الاسلام وامبراطورية الصين ،وبما انه لا يوجد مصطلح تاريخ اسلامي جامع لهذه المنطقة؛اقتضت الضرورة ان يكون المصطلح الحديث(آسيا الوسطى)جامعاً ،وتقدر مساحة آسيا الوسطى ضمن هذه الحدود بـ 6000000 كيلو متر مربع .

### التعريف بالقراخطاي وتحديد موطنهم الاصلي0

/الرابع الهجري واخذوا يتدخلون في شؤون الصين وطالبوا بعرش الصين باعتبارهم اكبر قوة في شمال غرب الصين وخاضوا عدد من الحروب مع الدويلات التي قامت على أنقاض إمبراطورية التانغ (4)

ان انغماس الكيتان بالتيارات المدنية اذ بهرتهم المدينة والحضارة الصينية حتى ان اباطرتهم اتخذوا القاب صينية افقدهم روحهم الحربية ومميزاتهم العسكرية والقتالية التي كانوا يتمتعون بها في بداية امبراطوريتهم (5) وهذا الامر مكن احدى القبائل الرعوية التي تنتمي الى العنصر نفسه الذي ينتمي اليه الكيتان والتي كانت تستقر في منشوريا وتسمى جورجين (Jurchen) الذين كانوا في الماضي تابعين لهم من اسقاط امبراطوريتهم وتأسيس امبراطورية جديدة عرفت باسم امبراطورية جين الذهبية (Kin Empire) (6)

نجح احد افراد السلالة الكيتانية الذي عرف في المصادر الصينية (يهـلو ناشي (Yalu-Dashi) وفي المصادر

ان اصل القراخطاي من الامور التي شغلت بال المؤرخين قديماً وحديثاً ومعظم الدراسات التي تناولت اصلهم اكدت ان القراخطاي من العنصر التانكوتي (Tanguts) السائد في منشوريا شمال غرب الصين ضمن قبائل سيان - بي(Hisian-pi) القريبة النسب من القبائل المغولية (1)

برز القراخطاي قوة عالمية ذات شهرة واسعة حين سيطروا على شمال غرب الصين في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري فعرف شمال الصين باسمهم أي بلاد الخطا(2) وانشاوا امبراطورية امتدت من جزر اليابان والمحيط الهادي شرقاً الى جبال الالتي غرباً من بحيرة بيكال شمالاً الى الحدود الشمالية لامبراطورية السونغ (Sung) جنوباً التي عرفت بـ: امبراطورية الكيتان نسبة الى قبائلهم وعرفت في التاريخ الصيني بسلالة لياو(Liao Dynasty) (3)

استغل الكيتان أوضاع الصين المتردية على اثر سقوط امبراطورية التانغ(Tang) في بداية القرن العاشر الميلادي

الاسلامية بـ(توشي تقيو) في الخلاص من المقصلة التي اقامها ابجين ضد الكيتان،

ثم اتجه نحو الغرب عام (514هـ/ 1120م) املاً في الحصول على مساعدة من القوى الموجودة في آسيا الوسطى التي كانت في الماضي خاضعة لنفوذهم ؛ لاستعادة ملك ابائه الضائع (7)

### رحلة يه-لو- تاشي (Yalu-Dashi) الى الغرب

#### وقيام دولة القراخطاي

ينحدر يه-لو- تاشي من السلالة الحاكمة الكيتانية ، فهو من الجيل الثامن لمؤسس الامبراطورية تاي زو(T ai Zu) اذ كان يه-لو-تاشي يتميز بثقافته العالية ، فانه ثقّف نفسه بثقافة عصره الذي تسوده الحضارة الصينية في ذلك الوقت ويذكر تاريخ أسرة لياو (Liao Shih) ، انه كان ضالعا في الأدب الكيتاني ، والصيني ، وكان ماهرا "فضلا" عن كونه فارسا "شجاعا" وراميا "ماهرا" ، وإداريا "محكما" حظي بحب الشعب الكيتاني والجيش الإمبراطوري (8)

برز دور يه-لو- تاشي في الأحداث السياسية لامبراطورية الكيتان ، منذ وقت مبكر اذ كان حاكما "لأقاليم الشمالية الشرقية من امبراطورية الكيتان واثناء هجوم قبائل الجورجن على الامبراطورية ،تحمل يه-لو-تاشي عبء المسؤولية حيث لاذ احد اباطرة الكيتان تين زو(Tein-Zu) ( 1101-1125 م) (495-519هـ) بالفرار تاركا عرشه وامبراطوريته فريسة سهله لفرسان قبائل الجورجن ، ولأجل إنقاذ الموقف اسرع يلو داشي باجلاس احد امراء الاسرة الكيتانية الحاكمة والمدعو شوان (Shuan) على عرش الامبراطورية الكيتانية ، الا ان شوان سرعان ما توفي فاجلس زوجة شوان ولقبت بـ: الامباطورة سياتو تي (Siao-Te) هذه الامباطورة لم تستطع الوقوف بوجه فرسان الجورجن الذين باتوا قريبين من العاصمة الكيتانية ، فما كان من الامباطورة حتى هربت لاجئة لدى الامباطور (تين زو) الذي امر بإعدامها في ما بعد (9)

ادرك يه-لو- تاشي (Yalu-Dashi) خطورة بقاءه في البلاط الكيتاني في ظل تدمير الامباطور الكيتاني (تين زو) من تصرفه بتنصيب (شوان) امباطوراً على الكيتان وهو

مازال على قيد الحياة فجاء رد يه-لو-تاشي عنيفا "محملا" اياه مسؤولية سقوط الامبراطورية وتقاعسه عن الدفاع عنها والهروب لاجئا "بحياته تاركا" الشعب يعاني الكوارث (10) وفي الوقت نفسه اقنع بعدم جدوى الاعتماد على الامباطور في استعادة ملك ابائه الضائع ،لذا اطلق لنفسه العنان واتجه نحو الشمال مع عدد من الفرسان قدر عددهم بنحو مائتي فارس من خلص إتباعه للحصول على المساعدة العسكرية من القبائل الرعوية والتي كانت في الماضي تخضع لسلطان الكيتان، لذا زودوه بالأفراس والجمال والحقم في جيشة (11)

لم تكن القوة التي حصل عليها (يه-لو- تاشي) من تلك القبائل كافية لتحقيق ما يصبو اليه وهو العودة الى شمال غرب الصين؛ لمواجهة امباطور الجين والاطاحة بسلالتها الحاكمة لاسيما ان الجيش الكيتاني كان يجوب سهول آسيا الوسطى باحثا "عنه ، لذا كانت به حاجة الى مزيد من القوات والاحلاف ،فقرر الاستمرار في رحلته نحو الغرب أي آسيا الوسطى بعد ان ضحى بالثور الاسود والحصان الابيض الى السماء والارض واسلافه ليحصل على مباركتهم في رحلته وكانت هذه العادات والتقاليد السائدة بين القبائل الرعوية في آسيا الوسطى وشمال غرب الصين (12)

اختلفت المصادر الاسلامية عن المصادر الصينية في سرد احداث الرحلة فالمصادر الاسلامية تذكر ان يه-لو-تاشي مر بأراضي القرقيز الذين سببوا المتاعب قبل ان يصل الى بلاد الايغور ، اذ دخل حروب ومناوشات عسكرية مع قبائل القرقيز البدوية ، اجبر على اثرها الى التراجع الى منطقة نهر اميل(1\*) فاستقر هناك وشيدوا لهم مدينة مازالت اثارها قائمة ، وفق رواية الجويني حتى القرن 7هـ/ 13م أي الى عصر الجويني (13)

بينما تذكر المصادر الصينية ان ايه-لو-تاشي توجه مباشرة الى بلاد الايغور وذكر بارتولد انه اذ ما تمت المقارنة بين المصادر الاسلامية والمصادر الصينية عن رحلة القراخطاي نحو الغرب نجد ان المصادر الاسلامية اكثر وضوحا وتفصيلا من المصادر الصينية (14) ويمكن ان نجد ذلك واضحا من خلال سير الاحداث وعلى أي حال ، ان ما ان وصل يه-لو- تاشي بلاد الايغور حتى بعث الى حاكمهم

من الخان او من الامراء المتمردين فزاد هذا الامر من تدخل القبائل في شؤون القراخانيين ، وفي ظل هذه الاوضاع استمر ايهـلوـتاشي في رحلته حتى بات قريبا" من بلاسغون عاصمة القراخانيين الشرقيين اذ ذكر ابن الاثير في رواية شديدة الاختصار والغموض ، ان ايهـلوـتاشي اثناء رحلته صادف قافلة تجارية كبيرة فامر اصحابه بالقبض على اصحاب القافلة واشترط لاطلاق سراحهم ان يدلوه على مكان مناسب غني بمراعية يكفي وابة ومواشيه وان يكون فسيحا" جدا" لكي يستوعب عددهم الهائل وقد ارشده اصحاب القافلة على منطقة بلاسغون ذات المراعي الغنية الواسعة الارحاء(22) .

استنجد خان بلاسغون ابراهيم الثاني (522-552 هـ/1128-1158م) بالامير الكيتاني يهـلوـتاشي لاجل تخليصه من قبائل القارلوق فوجد يهـلوـتاشي في هذه الدعوة فرصة سانحة لدخول المدينة وبعد ان اخضع قبائل القارلوق دخل يهـلوـتاشي مدينة برسغون منهيًا" حكم القراخانيين فيها اذ منح الخان ابراهيم خان الثاني لقب (ايلى تركمان)(23) الذي سرعان ما ارسله لمقاتلة القارلوق الذين تمردوا على سلطة الكورخان حين طلب منهم ترك السلاح والعمل في الزراعة وقتل في احدى المعارك معهم اخذ يهـلوـتاشي يوسع املكه على حساب القراخانيين فحاول دخول مدينة كاشغر الا ان خان كاشغر احمد بن الحسن (496-522 هـ/1103-1128م) نجح في هزيمة يهـلوـتاشي على مسافة مسيرة ايام قليلة من كاشغر عام 522 هـ/118م، فاخر تقدمهم نحو الغرب(24)

سرعان ما استطاع يهـلوـتاشي ان يضم كاشغر ومدينة ختن(4\*) بعد ان تمكن من انتزاعها من القراخانيين ونجح في ردع القبائل الرعوية المغيرة على هذه المدن ومن ثم نقل عاصمته الى كاشغر(25) وارسل الحملات ضد قبائل القرقيز، انتقاما منها لقاء ما عاناه منهم في رحلته وسار هو على رأس جيش كبير متوجها" نحو بلاد الايغور فأخضعها وبعث حملة باتجاه فرغانه(5\*) وبذلك انتشرت حملاته حتى شملت معظم آسيا (26) بينما تذكر المصادر الصينية ان يهـلوـتاشي بعد ان دخل بلاسغون جهز حملة عسكرية كبيرة واسند قيادتها لاحد امراء الاسرة الكيتانية ووجهه باتجاه صحراء

ايديقوت (صاحب الملكة المقدسة ) (15) مذكرا" اياه بالعلاقات التي كانت بين اسلافه واسلافهم طالبا" منة السماح له بالعبور عبر بلاد (16) وما ان وصلت رسالة يهـلوـتاشي الى البلاط الايغوري وبعد ان احسن وفادته وبالف في اكرامه ولما اقترب وقت الرحيل قدم اليه ايد قوت الهدايا والمساعدات معلنا" خضوعه له (17) بينما نجد المصادر الاسلامية لم تؤكد خضوعه ، اذ يذكر الجويني ان ايهـلوـتاشي بعد اخضاعه القراخانيين اتجه نحو (بيشباليق\*2) فأخضعها(18)

ورواية الجويني تبدو هنا اكثر دقة من المصادر الصينية لانه ليس هنالك سببا" يدعو حاكم الايغور الايدي قوت على الخضوع للقراخاني وهم في طور التكوين ولا يمتلكون القوة الكافية بل ان يهـلوـتاشي جاء يطلب المساعدة من جهة أخرى واذا كان حاكم الايغور قد اعلن التبعية ما الداعي ان يقوم يهـلوـتاشي بقيادة حملة عسكرية بنفسه على دولة الايغور مرة اخرى...

استمر يهـلوـتاشي بالسير في رحلته في اسيا الوسطى واثناء مسيرة انضوت تحت حكمه الكثير من القبائل الرعوية سواء اكان ذلك بقوة السيف او التي خضعت له طواعية (19) فذكر رشيد الدين فضل الله ان يهـلوـتاشي كان رجلا" عاقلا" ذا ارادة وعزيمة نافذتين وادارة حازمة يعرف كيف يدير شؤون قبيلته بكل حكمة ودراية فجذبت هذه الصفات الحميدة الكثير من القبائل الرعوية التي انضمت تحت رئاسته راضية مختارة(20)

اقترب يهـلوـتاشي من اقليم التركستان(3\*) الذي كان يعاني من فوضى سياسية واجتماعية اذ استمرت هجمات القبائل التركية الرعوية وخاصة قبائل القارلوق في الشمال والجنوب فاستطاعت هذه القبائل ان تشيع الفوضى في املك القراخانيين الذين أمسوا أكثر ضعفا" اذ ان اعتماد القراخانيين على النظام الرعوي او مايعرف بنظام الالتاي أي انقسام الخانية الى قسمين شرقي وغربي ولكل خانية خانها الخاص ومن ثم انقسام كل خانية الى اقطاعيات صغيرة تدار من قبل بعض الاسر ادى الى كثرة التمردات والمحاولات الانفصالية خلال مرحلة اعتلاء عرش الخانية خانات ضعفاء (21) كل هذا ادى الى استنجد القراخانيين بالقبائل التركية الرعوية سواء

منغوليا لفتحها معللاً ذلك لن هذه الارض لم تكن يوماً" ما لشعبة وان ارض شعبة تركت وراءه الا ان هذه الحملة لم يكتب لها النجاح (27) ويبدو ان اهـلوـتاشي لم ينسى مسألة استرجاع ملك ابائه الضائع فباعت محاولاته بالفشل فجعله يولي اهتماماً" بالملك الجديد الذي انشأه في اسيا الوسطى.

نجح ايهـلوـ تاشي في ان يحل نفوذه محل اهل البلاد الاصليين وان يوسع ملكة شرقاً" وغرباً فامتدت دولة القراخطاي من صحراء غوبي الى نهر سيحون ومن هضبة التبت الى سيبيريا (28) ومن ثم اتخذ ايهـلوـ تاشي لقباً" تركياً" وهو (كورخان) (514-538هـ/1143-1125م) الذي لا يخرج معناه عن الخان الشجاع، البطل، المنتصر، العالمي، ومن ثم وزع الالقب الاميراطورية على افراد أسرته و قادته (29) معلناً" بذلك قيام دولة القراخطاي التي استمرت قرابة القرن من الزمان (30) اما عن اصل كلمة القراخطاي فيرى بعض المؤرخين ن انها تعني الخطا السود التي اطلقت عليهم من قبل المغول بسبب عداوتهم لهم (31)

ان اصل الكلمة لا يمكن ان يفسر على هذا المنوال لان مصطلح (قرا) لاتعني بالضرورة اسود فهي تستخدم احياناً" في المصادر التركية للدلالة على طول الطريق والمسافة البعيدة اضافة الى ذلك تستخدم للدلالة على القوة العظمى (32) اما بخصوص ان التسمية اطلقت عليهم من قبل المغول بسبب العداء فهو امر لا يمكن الجزم به لان جنكيز خان في بدايات فتوحاته استعان بالكيان (الخطا) وكان ابرز قائدين لديه من اصل كيتاني كما ان احدى حجج جنكيز خان لمهاجمة اسرة الجين هو بداعي الانتقام منهم لانهم كانوا السبب في طرد الكيتان من شمال غرب الصين بداية القرن 6هـ /12م لذا استقبل جنكيز خان الامراء المتبقين من اسرة لياو (الكيتان) الذين ساعدوه خلال حملته على شمال الصين للإطاحة بأسرة الجين (33) كما ان جنكيز خان استفاد من امراء اسرة القراخطاي المنهارة في اسيا الوسطى في الادارة المدنية للمناطق التي فتحها اذ كان أهـاي (A-hah) حاكم سمر قند المدني وابنة ايهـلوـمين سو (Yeh-lu-Mien-ssu) حاكم بخارى من القراخطاي (34)

فمصطلح القراخطاي هنا تعني الخطا العظماء او الاقوياء اما في المصادر الصينية فعرفت دولة ايهـلوـتاشي باسم (سلالة سي لياو) نسبة الى اسرة لياو التي حكمت شمال الصين وعن سبب نعتها بدولة لياو الغربية وذلك لانها تقع الى الغرب من الصين (35)

امتد حكم القراخطاي على مناطق واسعة امتدت من بلاد الخوارزم الى بلاد لايجور والواقع ان القراخطاي لم يندفوا بعيداً بل وقفوا عند حدود نهر جيحون لكنهم استولوا بعد مدة وجيزة على مدينة بلخ الواقعة جنوب نهر جيحون ودخلت تحت حكمهم البلاد الاسلامية في اسيا الوسطى (36) ورغم من انهم لم يتركوا في الصين الا ان الصينيين كانوا يرون ان القراخطاي (سلالة لياو) من ذرية امبراطور الصين فاضفى عليهم المؤرخون الصينيون طبقاً للاصول المتبعة عندهم - اسماء سنوات الملك وبها تضبط الاحداث التاريخية والاستثناء الذي حصل عليه القراخطاي ناجم عن مدى تمثلهم لحضارة الصين مما جعل الصينيين لا يعدونهم اجانب وافدين عليهم (37)

كانت دولة القراخطاي بمنأى عن القلاقل التي يسببها وجود القبائل والنظام الاقطاعي وهي قلاقل التي كانت تعم بها الدولة التركية البدوية ومما يميز دولة القراخطاي عن غيرها من دول السهوب في اسيا الوسطى هو تولي النساء الحكم اذا استمر القراخطاي على تقليد مشاركة المرأة بالحكم، فقد ذكر تاريخ لياو (Liao-shih)، العديد من النساء اللواتي كان لهن دور مهم في تاريخ الكيتان او القراخطاي، وابرزهن كانت ارملة اباو كي التي حافظت على عرش دولة الكيتان دون حدوث صراع على السلطة بين ابناء أبـاو كي (Apaoki)، أي الامبراطور تاي زو (Tai Zu) (38) كذلك ارملة ايهـلوـ داشي (تا-بو-ين) (Ta-Pu-Yen) التي اصبحت وصية على العرش لمدة ثمان سنوات باسم الكورخانة (كان-تئين) (Kan-Tien) (545-539 هـ/1144-1150م) لحين بلوغ ابنها السن القانوني (39)، الا ان لبرز النساء القراخطائيات كانت (بو-سو-وان) (Pu-Su-Wan) ابنة الكورخان (أي-ليه) (I-Leih) (546-557 هـ/1151-1161) التي استغلت صغر سن اخيها فاعتلت العرش باسم (جينك-تين) (Cheng-Tien) (560-573 هـ / 1164-1177م) وحدث في عهدها

الحالة الا مدينة بلاسغون التي انهى فيها الكورخان حكم القراخانيين (47) وظلوا يحكمون في كاشغر وما وراء النهر ، وظلت الاسر الحاكمة القديمة تتولى في خوارزم في الغرب وبلاد الايغور في الشرق ، وكانت طاعة الكورخان عبارة عن دفع الجزية له ، ومع ذلك فقد كان الكورخان ممثلاً في عواصم الولايات ذات الحكم الذاتي كما في الدولة الايغورية (48) وكان هذا المظهر من مظاهر التبعية يتغير احياناً ، فيأخذ شكلاً لا يخلو من الحطوه فكان ممثل الكورخان لا يذهب الى الخان الا لاخذ الجزية فاذا اخذها انصرف وكان الخان يحظى بحق ارسال الجزية الى الكورخان بنفسه كما في الدولة الخوارزمية والدولة القراخانية (49) .

الا ان سياسة القراخانية تجاه الشعوب التي خضعت لهم كانت سياسة متزنة تتم عن بعد نظر وتسامح ديني فهم لم يتدخلوا في شؤون الناس العامة لاسيما الدينية على الرغم من ان القراخاني كانت تدين بالديانة البوذية والشعوب التي خضعت لهم كانت ذات اصول ثقافية وحضارية متباينة الا انها ظلت تنعم بالحرية الدينية (50)

ذكرت المصادر الاسلامية ان القراخاني بعد انتصارهم على السلاجقة في معركة قطوان (537هـ / 1143م) وخضوع ما وراء النهر لسلطتهم عينوا احد ابناء الخوارزميين وهو البتكين ابن اخي اتسز حاكماً على بخارى ، فساء هذا الخوارزمي معاملة الاهالي وتمادى في ظلمهم ، فتذمر الناس واشتكوا من ظلم البتكين وما ان وصلت الاخبار الى الكورخان حتى كتب رسالة بالفارسية وعلى طريقة المسلمين يتهده ويتوعده بعبارة " بسم الله الرحمن الرحيم وانهاها بلفظ والسلام وقد وضح ان بعد المسافة لايبعده عن سخطه ورضاه ، الى ان قال وان عليه ان يفعل ما امر به محمد صلى الله عليه واله وسلم ....

"(51)

اعطت هذه السياسة ثمارها للقراخاني الذين نالوا احترام الشعوب الاسلامية التي كانت خاضعة لهم في اسيا الوسطى ، فاستطاعوا ان يكسبوا الاهالي الى جانبهم لاسيما في حروبهم مع القوى الاسلامية كالدولة السلجوقية والدولة الخوارزمية، فكان هذا احد الاسباب في فشل السلاطين

ثورة عارمة على اثر سوء تصرف عشيقها ، فقتلته امام الناس ، لتوقف الغليان الشعبي ضدها (40)

لقد ادى تدخل النساء في الحكم او اعتلائهن السلطة الى ضعف دولة القراخاني التي دخلت في عهد اخر كورخاناتها (بلو - جي - لو - كو ) ( Ylu-Chl-Lu-Ku ) ( 575-608 هـ/ 1179-1211م ) ، في صراع ويل مع الخوارزميين والغوريين ارهقت على اثر هذه الحروب الدولة القراخانية ، فاستعان الكورخان بـ ( كوتشك - خان ) ( Kutchluk ) زعيم النايمن ، الطريد الهارب من قبضة المغول لاجل مساعدته ضد الخوارزميين الا ان هذا الطريد استغل ضعف الكورخان وكبر سنة وغتصب العرش منه " بذلك دولة القراخاني فكان هذا السقوط قد صب في نهاية في صالح جنكيز خان الذيوسع نفوذه في اسيا الوسطى (41)

سياسة القراخاني في آسيا الوسطى

كانت اسرة (لياو) اكثر الاسر الاجنبية التي حكمت شمال غرب الصين تمثلاً للحضارة الصينية (42) فبعد خروجهم من الصين وتوطينهم في اسيا الوسطى ظلوا يستعملون اللغة الصينية لغة رسمية لهم ، واستخدموا الادارة الصينية في حكم البلاد (43)

لقد اکتفوا بأخذ ضريبة رمزية ، دينار ذهبي من كل اسرة في السنة الواحدة وهذا مكان متبعاً" في الصين (44) لذا نرى القراخاني خلال مدة حكمهم يقومون بتعداد سكاني للاسر التي تحت سلطانهم اونفوذهم وذلك زمن الكورخان أي -ليه (I-Leih) (557-564 هـ/ 1151-1161م) (45) ويبدو ان إجراء القراخاني هذا هو للحد من عملية السرقة والابتزاز اثناء عملية جمع الضرائب من قبل الجباه ، او لمعرفة عدد القادرين على حمل السلاح .

لقد كانت دولة القراخاني من الدول البدوية التي لم تعرف الانقسام ، فذكر المؤرخين ان الكورخان لم يراس احد على اكثر من مائة فارس (46) وقد يكون سبب التجاء الكورخان الى هذا العمل خوفاً من استغلال كثرة الجند وبالتالي الى طمعهم بالسلطة .

ان مبدأ الحكم الذاتي كان متبعاً لدى القراخاني على نطاق واسع في الامارات الداخلية في دولتهم ، ولم يشذ عن هذه

ان موقف الشعوب الاسلامية في اسيا الوسطى سرعان ماتغير  
في اواخر عهد الكورخان (بلو - جي - لو - كو ) حين  
اخذت سياسة القراخطاي تجاه تلك الشعوب منحاً اخر فقد  
اساء عمال القراخطاي وجباه ضرائبهم معاملة الاهالي ، مما  
دعا الاهالي بالاستنجاد بالسلطان الخوارزمي الذي استفاد من  
تذمر اهالي ماوراء النهر فنجح في هزيمة القراخطاي  
وتخليص ماوراء النهر من نفوذهم (55)

الخوارزميين في القضاء على نفوذ القراخطاي في ماوراء  
النهر قبل القرن 7هـ/13م (52)  
كما ان القراخطاي استمالوا كبار رجال الدين المسلمين  
في آسيا الوسطى مستغلين ما لهؤلاء الفقهاء ورجال الدين من  
نفوذ ديني على الناس فاستعانوا بهم في حكم البلاد (53)  
فأضحي للاسر الدينية نفوذ كبير مثل اسرة ال برهان ، التي  
كان يلقب زعمائها بـ (صدر جهان ) أي (صدر العالم) الذين  
استغلوا نفوذهم الديني ودعم القراخطاي لهم ، فاساءوا معاملة  
الاهالي وبالتالي ادى الى انتفاضة اهالي بخارى ضدهم (54)

## الهوامش

- 1) لمزيد من التفاصيل عن اصل القراخطاي ، ينظر: XU Elina \_ Qiam: Historical Development of the pre-Dynastic Khitan a Thesis submitted to the Faculty of Art at University of Helsinki Kpp.83-89.
- 2) عرفت مناطق شمال غرب الصين عند العرب والمسلمين باسم بلاد الخطا نسبة الى حكم الكيتان (الخطا) وظل هذا الاسم شائعاً حتى سقوط دولة الخطا هناك في القرن الثاني عشر الميلادي /السادس الهجري وعرف القسم الجنوبي من البلاد باسم الصين ، المشتقة من الكلمة الفارسية (جين) ، بينما ظلت تسمية الخطا او الختا تطلق على الصين في العصور الوسطى والحديثة من قبل الاوربيين عن هذا الموضوع ينظر: أي دان : تاريخ جين از جامع التواريخ ، ( مركز داشينكا هي تهران، 1379) ص158 اول ما اطلق على هذه الدولة حين تاسست اسم دولة الكيتان العظيمة واستمرت هذه التسمية حتى عام 938 م/ هـ حين غيرت من الكيتان الى الياو العظيمة وظلت هذه التسمية حتى عام 983م ثم ارجعت الى اسمها القديم دولة الكيتان العظيمة لكن في عام 1066م/459هـ ارجع اسمها الى دولة الياو العظيمة وبقيت بهذا الاسم حتى سقوطها عن دولة الكيتان ينظر:
- Wittfogel Karl&feng Chia \_ sheng:History of Chinese Society : Liao(907\_1125) Philadelphia ,American Philosophical Societ , 1949 , P.41.
- (3)Eberhard , W:History of China (London , 1960) , pp.180-182.
- (4)Bai Shouyi Ed : An Outline of China (Foreeagn Language Press , Beijing , 1982) pp.276-277.
- (5)Fitzgerald , C.P: China Short Cultural (London , 1935) , p .373.
- (6)Sinor , D: the Kitan and the Kara Khitay , article in H.C.O.C.A , (UNESCO 1980) , pp.227-228.
- (7) تاي زو (Tai Zu) هو مؤسس امبراطورية الكيتان ، يعرف باسم : اباوكي (aPaoki) نجح في القضاء على زعماء القبائل الكيتانية واعتلى عرش الكيتان واتخذ لقباً امبراطورياً صينياً وهو تاي زو (Tai-Zu) وحكم 916-926 م ، والذي اعطى طابعاً اسطورياً فيذكر التاريخ الصيني(Liao \_Shih) ان اباوكي ولد من اشعة الشمس عن هذا الموضوع ينظر: Sinor:OP.Cit , p .229.
- (8) Bretschnieder: Medieval Research from Eastern Asiatic Sources , (London , 1967) , V1 , pp.211-212.
- (9)Bretschnider :Op.Cit , V1 , pp.211-212.
- (10)Bretschnider : Op .Cit , V1,p.212
- (11)Ibid , p.212.
- (12)Sinor: Op .Cit , p.230
- (13) ذكر التاريخ السري لاسرة لياو عن فتاة كانت تمتطي ثوراً اسود وشاب يمتطي حصان ابيض يسيران على ضفتي نهر لياو في شمال غرب الصين ، وانهم التقوا في نقطة مصب النهر ، وتنازلوا ، واصبح لديهم ثمانى اولاد اصبحوا فيما بعد القبائل الكيتانية الثمانية الرئيسية التي تكون الشعب الكيتاني ، لذا كان الحصان الابيض والثور الاسود من الحيوانات المقدسة عند القراخطاي ، وانهم يلجأون الى هذا العمل اذا ارادوا الرحيل فيبتغون اتجاه تدفق دم الاضحية لتي يتقدمون بها للاله 0 عن هذا الموضوع ينظر . Bretschnider : Op.Cit , V2,p.42, Sinor:Op.Cit.
- (14)Juvaini : The History of The World Conqueror , Translated from the Mirza Muhammad Qazvini by J.A. boyle (University of Manchester , press , 1958) . V1,P.355
- (15)بارتولد:تاريخ الترك ، ص 122 0
- (16)Juvaini: Op.Cit , p 44.
- (17) هنا اراد به لو- تاشي ان يذكر ابيدقوت ، بما فعله الامبراطور الكيتاني اباوكي حين احتل منغوليا وطرد قبائل القرقيز التي اسقطت دولة الايغور ، وطلب من الايغور العودة الى منغوليا موطنهم الاصلي لكن الايغور رفضوا طلب اباوكي ؛ لانهم اعتادوا حياة الاستقرار ولمسوا الحضارة ، ونسوا حياة البداوة والترحال، عن هذا الموضوع ينظر: Geng Shimin :The Uighur Kingdom of Kocho H.C.O.C.A pp.202-203
- (18) تذكر المصادر الصينية ان حاكم الايغور اهدى-لو-تاشي 600 حصان و 100 جمل و 3000 خروف ولتاكيد حسن نواياه ارسل برفقته حفيده ومن ثم اعلن خضوعه له ولم يكن قبل ذلك من اتباعه والخاضعين له 0 عن هذا الموضوع ينظر: Bretschnider : Op .Cit , V1 , p.213 , E.H. parker: Op .Cit , p.269.Bretschnider :Op.Cit , V2 , p.27.
- (19) Juvaini : Op.Cit, V1 , p.256.

(20) Bretschneider :Op.Cit , V1, p.213

(21) رشيد الدين فضل الله:جامع التواريخ ،بكوشتش ،بهمن كريمي(تهران:1374)مج1 ،ص 236 0

(22)Erdogan:Op.Cit,p.76

(23)ابن الاثير ،ابو الحسن علي بن ابي كرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني :الكامل في التاريخ ،تحقيق علي شيري ،(دار احياء التراث ،بيروت -2004م)ط1 ،ج9 ،ص 284 0

(24) هو لقب ايغوري يعني ملك التركمان

(25) سعاد الطائي :الفرخانيين ،ص5 0

(26) Erdogan:Op.Cit,p.80

Haworth:H.H:History of the Mongols from the 9<sup>th</sup> to the 19 century  
( London . 1927-1968). Part 1.p.6

(28)Juvaini :op.cit,p.256.

(29)Bretschneider:op.cit,v1,p.214.

(4)أنظر الخارطة رقم 2-في الملحق رقم 1-

(30) ذكر ابن الأثير أن معنى كورخان أي الملك الأعور لأن كلمة كور في الفارسية تعني الأعور ،وترجم المستشرق بيتسجنايدر أسم كورخان الكسيح ،  
Bretschneider:,v1,op.cit p.21

أبن الأثير:الكامل :ج9،ص284؛

(31) حكم القراخطاي في أسيا الوسطى ما يقارب 86 عاما" من سنة1196/519608-1125-1211م،وعن تاريخ حكم كورخانات القراخطاي ينظر الملحق رقمك 1-

Eberhard:Op.Cit,p.227

(32)Bretschneider: ,op.cit p.210.

(34)عباس أقبال :تاريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ،ترجمة عبد الوهاب علوب (المجمع الثقافي ،أبوظبي: 2000)،ص 24،  
25.

(35 )Grousset :op.cit ,p.228.

وعن استعانة جنكيزخان بالكيتان ، ينظر:

Hok-lam cham :Chinese official Historiography at the yuan court :

The composition of the liao , chin , and sung Histories ,Article in china under Mongol Rule Edited by john D.langlois ,  
(New jersey ,1981 ) ,pp.56-106.

(36 )Sinor :op.cit,p.242 .

(37)بارتولد :تاريخ الترك ،ص 120 وانك أي دان : المصدر السابق ،ص127

(38)سوف نعالج هذا الموضوع في الفصل الثالث ، في صراع القراخطاي مع القوى الإسلامية 0

(39)بارتولد :تاريخ الترك ،ص120.

(40 )Grousset:op.cit,p.129-130.

(41 )Sinor:op .cit,p.238-9.

(42)بعض المصادر تذكر أن الكورخانة أقامت علاقة غير شرعية مع شقيق زوجها مستغلة غيابة إذ كان يقود الحملات ضد الخوارزميين وفأثارت بتصرفاتها هذه الشعب القراخطاي ، ألا أنها تلافت الموقف حين أقدمت على أعدام عشيقها بينما المصادر الصينية تذكر أنها أعدمت معه 0  
حول هذا الموضوع ينظر : بارتولد : تاريخ الترك ،ص126-127؛

Bretschneider:op.cit , v1,p.229 . sinor :op .cit,pp.239-240.

(43 )Grousset:op .cit ,p.165.

(44)تذكر المصادر الصينية أن أبابكي مؤسس دولة الكيتان استعان في بناء دولته بالصينيين الذين وقعوا أسرى بيده بعد احتلاله الأقاليم الصينية ،فظهر لدى الكيتان جبل متأثر بالحضارة الصينية إضافة الى ذلك كان اغلب وزراء الكيتان من الصينيين عن هذا الموضوع ينظر :

Baishouyi Ed :op.cit,p.273.

( 45 ) Sinor:op.cit,pp.239.

(46)ابن الأثير:الكامل ،ج9،ص284،رشيد الدين :جامع ،ج1،صص235-236؛

Bretschneider p.231. OP.Cit V1

(47 ) Barthold"Qara-khitai"E.I,v4,p.580-2:Ibid,p.

(48)ابن الأثير : الكامل ،ج9،ص284، بارتولد :تاريخ الترك ،ص 125.

Barthold :four studies,v.1,p.103.

( 49 )

(50)لقد كانت لغطر\*ممثل الكورخان والمدعو (شوكن) في العاصمة الأيغورية (بيش باليغ )،أن جعل الدولة الأيغورية تخلع طاعة القراخطاي وتقتل ممثل الكورخان وتعتزف بتبعتها للمغول . عن هذا الموضوع ينظر :رشيد الدين :جامع ،ج1،ص309.

(51) أذ كان ممثل الخان فيذهب الى الدولة الخوارزمية سنويا" لأحضار الجزية ، الذي كثيرا" ماتؤدي غطرسة وتحكم المبعوثين الى مقتلهم في النهاية على يد الخوارزميين ، أما القراخانيين فكانوا يرسلون الجزية الى مقر الكورخان بأنفسهم ، ودليل ذلك أن خان ماوراء النهر القراخاني عثمان ، أعجب بآبنة الكورخان التي شاهدها على ما يبدو خلال زيارته لبلاط الكورخان لدفع الجزية عن هذا الموضوع ينظر بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 1986)، ط 491، ص 513 0

(52) Barthold: Ibid, p.105: sinor: op.cit, pp.238-239.

(53) سمرقندي ، أحمد بن عمر بن علي نظامي عروضي: جهاز مقالة ، نقله الى العربية: عبد الوهاب عزام ويحيى خشاب ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، 1949)، ص 31 0

(54) هذا ما يبرراتخاذ أهالي ماوراء النهر جانب القراخانيين خلال الصراع القراخاني الخوارزمي ، ودفاع أهل بخارى عن المدينة مع القوات القراخانية خلال حصار خوارزم لها عن هذا الموضوع ينظر:

أبن العبري ، غريغوس الملطي: تاريخ مختصر الدول ، ترجمة أنطون صالحاني (المكتبة الكاثوليكية ، بيروت: 1958)، ص 225 0

(55) ومن أمثلة ذلك استعانة القراخاني بالأمام أحمد بن عبد العزيز الذي كانت له الكلمة النافذة في عصره ، فنصبه القراخاني اماما وحكما" على بخارى ، ويلاحظ أن هذا التنصيب جاء بعد حكم البتكتين لبخارى ، فأستطاع الأمام أحمد بفضل ما يتمتع به هذا رجل من احترام بين الأهالي بسبب علمه وتقواه أن تكون له الكلمة المسموعة عن هذا الموضوع ينظر: سمرقندي: جهاز مقالة ، ص 31؛ بارتولد: تركستان ، ص 509 0 (56) يرجع أصل هذه الأسرة الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب التي ظلت تحكم حتى العصر المغولي للتفاصيل عن هذه الأسرة ينظر: بارتولد: ال برهان ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 7، ص ص 149-151. (57) عن هذا الموضوع انظر الصراع القراخاني - الخوارزمي ، الفصل الثالث 0

(1\*) أميل: هو احد انهار تركستان الصينية ، يسمى في الصينية ye-mi-shi انشا القراخاني لهم مدينة على احد جوانبه والنهر ينبع من جبال تيان شان ويصب في بحيرة الاك كول 0

(2\*) ببش-باليق: وهي عاصمة دولة الايغور وتعني في اللغة التركية المدن الخمسة وتقع في تركستان الصينية في الاقسام الجنوبية الشرقية من منحدرات تيان شان 0

(3\*) التركستان: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك وهو اقليم فسيح المدى واكثر اهل هذا الاقليم اهل خيام ومنهم اهل قرى، صفات سكانهم عراض الوجوه فطس الانوف ، طعامهم لحوم الحيوانات وتكثر في ارضهم معادن عدة من اكثرها اللازورد ويكثر عندهم المسك واكثر الحيوانات انتشاراً لديهم السنجاب والسمور والثعالب السود والارانب البيض 0 الحموي: معجم البلدان ، ج 2، ص 23 0

(4\*) ختن: مدينة دون كاشر ووراء اوزكندي وهي من مدن التركستان وتقع بين جبال وسط بلاد الترك 0

الحموي: معجم البلدان ، ج 2 ص 347

(5\*) فرغانة: مدينة واسعة في ماوراء النهر متخامة لبلاد التركستان في زاوية من زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد

الترك الحموي: معجم البلدان ، ج 4، ص 253 0